دور صحافة الجزائريين في مواجهة السّياسات الفرنسيّة لتغييب اللّغة العربيّة: مقاربة تاريخيّة تحليليّة

أ. أحمد عبدلي♥

استلم: 2025/12/07 مقبول: 2026/02/12 نشر: 2026/06/15

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-028-002-019

The Role of Algerian-owned Press in Confronting French Policies of Marginalizing the Arabic Language: A Historical-Analytical Approach

Abstract:

This analytical study seeks to trace the journalistic struggles led by Algerian elites in response to French colonial policies aimed at marginalizing the Arabic language and stripping it of its educational and social functions in favor of promoting French. The study employs a historical-analytical methodology, based on a comprehensive review of a temporally diverse sample of newspapers representing various orientations including reformist, Sufi, and nationalist presses. Despite differences in context and the varying degrees of freedom allowed under colonial censorship, these newspapers collectively defended the Arabic language, writing in it and advocating for it, in direct resistance to France's long-standing "war by Arabic and war on Arabic" policies.

♥ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية S_ahmedabdelli@yahoo.fr

Keywords: independent press, Arabic language, linguistic marginalization, colonialism.

ملخّص: تهدف هذه الدراسة التحليلية الى تتبع النضالات الصحفية للنخب الجزائرية، لسياسات الاستعمار الفرنسي الهادفة الى تغييب اللغة العربية عن أدوارها التعليمية والاجتماعية، واحلال محلها اللغة الفرنسية اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، خلال المراجعة الشاملة لعينات من صحف متنوعة زمنيا، ومتنوعة في اتجاهاتها صحف إصلاحية، طرقية، الحركة الوطنية...، دافعت كلها عن اللغة العربية وفق ظروفها وفي حدود ما سمح به هامش حرية التعبير، الا أنها ناضلت بالعربية وناضلت من أجلها في الرد على سياسات الحرب بالعربية والحرب على العربية التي انتهجها الاحتلال الفرنسي .

كلمات مفتاحيّة: الصحف الاهلية، اللغة العربية، تغييب العربية الاستعمار

المقدمة: شكلت "المسالة اللغوية" في الجزائر المستعمرة، واحدة من أهم القضايا النضالية للنخب الوطنية الجزائرية، كتابة وتعليما وتعلما ومحادثة، والدفاع عنها من خلال المحاضرات والدروس والخطب واعتمادها لغة للتعليم العربي الحر، و والدعوة والدعاية لها بالكتابة الصحفية، باستغلال كل المنابر المتاحة، سياسية دينية ثقافية وحتى الرياضية، في مواجهة مشاريع الإدارة الفرنسية التي أعلنت الحرب على عناصر الهوية العربية الإسلامية في الجزائر، خصوصا اللغة العربية بتغييبها وازاحتها عن المشهد اللساني والتداولي والتعليمي والعلمي، أي احداث فراغ لغوي لدى الجزائريين، بأساليب مختلفة،

قانونية سياسية إدارية فكرية وعلمية، وتشجيع بدائل لغوية عنها مثل العامية الدراجة للتعليم والتعلم ، تعوض هذا الفراغ اللغوي، بعبارة أدق ؛ تهيئة الأرضية المناسبة لنشر وتعميم اللغة الفرنسية كلغة أساسية رئيسية ، وذلك يعني فك الروابط الحضارية والثقافية للمجتمع الجزائري بامتداده التاريخي الطبيعي وتسهيل عملية الحاقه بفرنسا، وهو الهدف النهائي والغاية الأساسية لكل تلك الإجراءات القمعية العنيفة في حق العربية.

جوبهت هذه السياسيات بجهود نضالية صمدت وتصدت لكل موجات العنف التشريعي والإداري، وعززت حضور اللغة العربية من خلال تكريسها كأداة تعبيرية تواصلية ، فإذا كانت الممارسات الفرنسية تهدف إلى الحرب على العربية والحرب بالعربية، فإن النضال الصحفي كان بالعربية من خلال اصدار الصحف والمجلات باللغة العربية في إعلان صريح أن هذه اللغة باقية ومستمرة حرة في وطنها ، كما حملت الصحف لواء النضال من أجل العربية، من خلال المقالات والتقارير الكثيرة التي دبجت صدور الكثير من الصحف الأهلية منددة بالسياسات القمعية أو محرضة وداعية إلى التمسك والاعتزاز بها، أو مدافعة بالحجة والدليل على صلاحيتها للتعليم والعلوم، أو فاضحة لكل الإجراءات الإدارية الاستثنائية ضدها للحكام العامّين بالجزائر.

1-الإشكالية والمنهج: اعتمدنا في هذه الدراسة الوصفية التحليلية على منهج المسح الشامل أو الحصر الكلي، لجميع الصحف الصادرة باللغة العربية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، وقد حاولنا مسح صحف كل الاتجاهات السياسية والنضالية آنذاك للجزائريين: التيار

الإصلاحي صحف الطرقيين، صحف الحركة الوطنية، صحف الشخصيات المستقلة، وكذا الصحف الاستعمارية، مسحا زمنيا منذ بداية ظهور الصحافة الأهلية، من خلال فحص كل اعدادها بحثا عما كتب حول اللغة العربية من مقالات وتقارير ومراسلات ونحوها، وبهذا فقد راجعنا: جريدة المبشر 1847م، جريدة الجزائر لعمر راسم 1908م البريد الجزائري لمحمد عزالدين القلال 1913م جريدة الفاروق 1913م لعمر بن قدور الجزائر، جريدة ذو الفقار 1913م، الاقدام للأمير خالد 1919م، صحف ابن باديس: الشهاب 1924م، المنتقد 1925م الشريعة المحمدية 1933م، جريدة الصراط السوي 1933م. جريدة الثبات 1926م جوكلاري محمد الشريف، جريدة البلاغ الجزائري للطريقة العلاوية 1926م. جريدة البصائر لجمعية العلماء المسلمين، السلسلة الأولى والثانية، صحف ابي اليقظان: البستان، النور، المغرب العربي مجلة التلميذ 1931م الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين بإفريقيا الشمالية، الامة 1933، لسان الدين مصطفى حفيظ 1933م، جريدة الإصلاح للطيب العقبي 1939م، سيدي هنيني للشيخ محمد الطاهر بجو 1935م، جريدة الجزائر الجديدة للحزب الشيوعي الجزائري، الليالي علي بن سعد 1936م، الميدان حسين الوارزقي1937م، المرشد عدة ابن تونس 1946م، جريدة المرشد عبدالله رضا 1946م، جريدة الروح للزاوية القاسمية، 1948م جريدة الوطن1948م لفرحات عباس، جريدة الشعلة الصادق حمأني، رضا حوحو 1949م مجلة المنار لعبدالحميد بوزوزو 1951م، جريدة الشعلة رضا حوحو، صوت المسجد محمد العاصمي 1951م.

2-الصحافة الأهلية العربية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية:

مرت الصحافة الأهلية في الجزائر بعدة مراحل زمنية، لكل مرحلة خصوصيتها السياسية والاجتماعية والثقافية، متأثرة بالمتغيرات الداخلية في الجزائر أو فرنسا، أو الظروف والعوامل الإقليمية والدولية، ومن المعلوم أن الصحافة كنشاط نضالي قد تأخر اعتماده لدى النخب الجزائرية لعدة أسباب، أهمها الانشغال بالمقاومة المسلحة أول المواجهة مع الاحتلال، وثانيا الافتقاد إلى الخبرات الفنية والأدوات التقنية، ونشير إلى أن قطاعا مهما من النخب الأهلية قد تعرفوا عليها من خلال الصحف الاستعمارية مثل عمر راسم، ثالثا التحول نحو المقاومة الثقافية السياسية، وظهور النخب التي كان لرحلاتها الخارجية أثر في التعرف على الأفكار والشخصيات الإصلاحية والتحررية.

تختلف تصنيفات الباحثين في تاريخ الصحافة في الجزائر لمسارها بين التصنيف الكرنولوجي والتصنيف الموضوعاتي حسب جهة الامتياز أو الملكية.

أ- **تصنيف مفدي زكريا:** يقسم مفدي زكريا اتجاهات الصحافة الجزائرية قبل الاستقلال، تقسيما كرونولوجيا يستند إلى تطور الصحافة في الجزائر وفق مراحل تاريخية لكل منها ميزاتها وخصوصيتها الكمية والكيفية، واتجاهات الصحافة الصادرة في الجزائر إلى تقسيمات عدة منها:

أ- **المرحلة الأولى:** تبدأ من 1830م إلى غاية 1907م وهي مرحلة سادت فيها الصحافة الحكومية الفرنسية.

ب- المرحلة الثانية: من 1907م إلى 1923م: وهي الفترة التي عرفت ظهور كتابات لجزائريين ومحاولات أولى لإنشاء الصحف أو ما يعرف بصحافة المقاومة القلمية، أهمها صحف: عمر بن قدور الجزائري، الفاروق من 1913م إلى 1921م، عمر راسم الذي أنشأ في سنة 1908م مجلة الجزائر، ثم جريدة ذي الفقار 1913م، جريدة الإقدام 1919م -1923م. للأمير خالد الجزائري، هذه المرحلة متوافقة سياسيا مع ظهور مطالب المساواة بين الجزائريين والفرنسيين في الحقوق والواجبات وقد انعكست هذه الأفكار في مضمون ولغة الصحف الصادرة من الجزائريين آنذاك.

ج- المرحلة الثالثة: من 1923م إلى 1936م، شهدت توسعا كبيرا في إنشاء الصحف، وعلى رأسها الصحف الباديسية: جريدة المنتقد 1925م، جريدة الشهاب 1925م، جريدة السنة النبوية 1933م. البصائر السلسلة الأولى.

د- المرحلة الرابعة: من 1936م إلى 1954م، وهي مرحلة واكبت تطور الحركة الوطنية والمقاومة السياسية، وتبلور الشعور الوطني خصوصا بعد أحداث 8 ماي 1945م، ومن بين تلك الجرائد: الروح للشباب القاسمي 1948م.

هـ- المرحلة الخامسة: من 1954م إلى 1962م: وهي الصحف الاستقلالية الصادرة عن جيش وجبهة التحرير الوطني، لسان حال الثورة التحريرية، بداية من جريدة المقاومة 1956م، والمجاهد 1956م (مفدي 2003).

ج- تصنيف أبو القاسم سعد الله: يقسم سعد الله اتجاهات وتاريخ الصحافة في الجزائر تقسيما موضوعاتيا إلى:

أ- صحف فرنسية لا علاقة لها بالعرب تقريبا.

ب- بعض الصحف الفرنسية بعضها يؤيد فكرة الجزائر الفرنسية وبعضها مؤيد للعسكريين، وبعضها يدافع عن المدنيين.

ج- صحف تبنت قضايا الاشتراكيين السانسيمونيين.

د- صحف مضادة لليهود والسامية.

ويرى أن هناك تقسيما زمنيا يتماشى مع تغيرات النظام السياسي الفرنسي:

أ- **المرحلة الأولى:**1890م -1914م:

ب- **المرحلة الثانية:** بدأت منذ 1919م -1939م اكتسب فيها الجزائريون مهارة فن الصحافة ... ونشأت صحف ذات طابع نضالي في أغلبه، على أن ذلك لم يمنع من ظهور صحف أخرى ظلت على الخط القديم كالدعوة إلى الاندماج، كما أن التيار الصوفي قد دخل أيضا ميدان الصحافة، وأصبح لكل حزب وجمعية أو تيار جرائده وظلت لغة الجرائد عربية أو فرنسية، وقلما كانت مزدوجة.

ج-المرحلة الثالثة: 1940م -1956م:

د-المرحلة الرابعة: من 1962 م إلى يومنا هذا (سعد الله ، 1998، صفحة 243).

د- تقسيم زهير إحدادن:

يرى المرحوم زهير إحدادن أن هناك أربع اتجاهات أساسية للصحافة في الجزائر:

أ- **الصحافة الحكومية:** وهي الصادرة عن الحكومة الفرنسية مثل المبشر.

ب- **صحافة أحباب الأهالي:** وهي التي أنشأها مستعمرون متعاطفون مع الجزائريين مثل " الرشيدي"، المنتخب، المسلم، الهلال.

ج- **الصحافة الأهلية:** وهي الصحف التي أنشأها الجزائريون بكل اتجاهاتها: الإصلاحية، الطرقية، صحف أحزاب الحركة الوطنية.

د- **الصحافة الاستقلالية:** وهي صحف جيش وجبهة التحرير كالمقاومة، المجاهد.

يمكننا اجمال المسار التاريخي والنضالي للصحافة الأهلية كما يلي:

- **المرحلة الأولى:** الانطلاق والرعاية تبدأ من صدور جريدة كوكب افريقيا1907 م إلى غاية 1923م تقريبا.

الوالي العام جونار: الذي كان يرى من مصلحة فرنسا أن تسمح للجميع بالتعبير الحر حتى لا تحدث مفاجئات سياسية أو ثورات مسلحة وهذه السياسة هي التي كأنت تدعو اليها النخب وتحققت بالفعل. (احدادن، 2012م، صفحة 28)، يمكننا اجمال هذه التقسيمات على النحو الاتي:

المرحلة الأولى: هيمنة الصحاتفة الاستعمارية 1830م-1914م

وتبدأ من دخول الاحتلال الفرنسي حيث أنشأ اول صحيفة أو نشرة إخبارية تحت مسمى L'Estafette d'Alger سنة أول عدد: 25 يونيو 1830م — ثم عدد آخر في 5 يوليو 1830م، ثم جريدة Le Moniteur Algérien في 27 يناير 1832م، في 1847 صدر اول عدد من جريدة المُبَشِّر(Le Mobacher) تعد جريدة المبشر Le Mobachir. (1847م-1926م). العنوان الصحفي الأبرز في سياق الحرب الدعائية التي شنتها الإدارة الاستعمارية على العقل والوجدان الجزائري بلسان عربي، كتبت أول الامر بلهجة دارجة ركيكة موجهة

للسكان الجزائريين، وكانت تباع وتوزع و تقرأ في الأسواق على الأهالي بإشراف أعوان المكاتب العربية، أنتدب لها لاحقا نخبة من الجزائريين البارعين في الفرنسية واللغة العربية، الذين يبدؤون مسارهم المهني في سلك الترجمة الإدارية، أمثال أبي القاسم الحفناوي الحفناوي بن الشيخ علي بن عمر، أحمد البدوي، مصطفى بن الخوجة بن زكري ،محمود كحول، مامي إسماعيل، عمر راسم وغيرهم من ورثة الفكر العربي الإسلامي في الجزائر فبفضلهم أصبحت تقرأ من طرف النخبة المثقفة بالعربية (احدادن، 2012م، صفحة 28)، والى جانب المبشر ظهرت صحف أخرى مثل : ثم صحيفة La Nouvelle Franceسنة 1935م،L'Écho d'Alger ظهر اول عدد منها في 16 مارس 1912م كان من الطبيعي أن لا تظهر الصحافة الاهلية في هذه المرحلة لعدة عوامل منها: انشغال الجزائريين بالمقازمة المسلحة، عدم معرفة الجزائريين بهذا النشاط الثقافي الجديد. تشدد القوانين الفرنسية في مجال النشر وحرية التعبير خصوصا، وبالرغم من صدور قانون 29 يوليو 1881م، والذي خفف القيود التي فرضتها المراسيم والتشريعات السابقة الا أن الجزائريين لم ينعكس عليهم إيجابا، وبقيت النظرة عسكرية بحتة وبقى العمل بالنصوص القديمة، والتي كانت تصنف الصحافة ضمن الأنشطة الاجرامية الخطرة.

- **المرحلة الثانية القمع والصمود** من 1914م إلى 1930م: تميزت بتزايد الرقابة والقمع والاغلاق والمصادرة للصحف العربية وتم اللجوء إلى المادة 14 من فانون حرية الصحافة الصادر في 1881م(Légifrance, 2025) ، والذي يمنح بموجبه السلطات

الإدارية حق تعطيل أي مطبوعة تمس النظام العام، دون الحاجة إلى محاكمة، المادة 6 منه تشترط أن يكون مدير الصحيفة متمتعا بكل حقوقه المدنية (خصوصا الجنسية الفرنسية) وهو ما يفتقده الجزائريون. وكان من ضحايا هذا القانون الكثير من الصحف منها المنتقد في 1925م، أما المواد من 15 إلى 45 منه تسمح بتوجيه تهمة ارتكاب جريمة من طرف الجريدة، وهي تهمة مائعة يمكن تكييفها على حسب هوى الإدارة، لكن أثرها قاسيا من حيث مصادر الوسائل الطباعية والغرامات المالية وحتى الحبس، مما اضطر بعضهم إلى تعيين فرنسيين لإدارة جرائدهم مثل الأمين العمودي الذي أوكل امتياز جريدة الدفاع والعدل إلى فرنسي ونتيجة لهذا الضغط الهائل والقمع غاب الحديث عن القضايا والمواضيع التي يمكن أن تشكل مواجهة أو اثارة للسلطات الاستعمارية، وغلب عليها الحديث بصفة عامة ومهادنة الاحتلال، أي النضال بالحد الأدنى وضمان البقاء، مثل جريدة التقدم للدكتور بن التهامي، أو جريدة (صوت الضعفاء/ la voix des humbles) أو جريدة (التفاهم/ L'entente)، أو الشهاب وغيرها. وكان من ضحايا هذه الإجراءات صحف ابي اليقظان الذي كتب رسالة استعطاف للوالي العام جونار – 1857 Charles Jonnart) (1927. وربما أيضا يكون السبب فيما كتبه ابن باديس في العدد الأول من جريدة الشهاب، ولم تخفّف حدة هذا القمع إلا في 1935م مع مجيء حكومة اليسار بقيادة (موريس فيوليت/Maurice Viollette).

- **المرحلة الثالثة مرحلة النضج:** وتبدأ من 1930م إلى غاية 1943م مع تقديم البيان الجزائري للحلفاء، أثناء الحرب العالمية الثانية وكان لوصول اليساريين إلى الحكم في فرنسا وتشجيعات لسياسة الاندماج بالصيغتين، وكذا بروز نخب الحركة الوطنية الاستقلالية التي رفعت من سقف المطالب متجاوزة العرض الفرنسي، الذي اصبح يمثل للإدارة الاحتلالية خيارا استراتيجيا، لتهدئة الوضع وارضاء هذه النخب ببعض التنازلات، منها السماح للصحافة الاهلية بهامش حرية أوسع ونتيجة لذلك ظهرت عناوين جديدة بنفس جديد منها: البصائر لجمعية العلماء المسلمين، الدفاع للأمين العمودي، صحف ابي اليقظان، صحف ابن باديس مثل الشريعة المحمدية، الصراط السوي، السنة النبوية صحف الحركة السياسية(حزب الشعب الجزائري) مثل: الامة الميدان البرلمان الجزائري، الجزائر الحرة، وبالبرغم من حالة الانفتاح النسبي الا أن غالبيتها لم تسلم من القمع والمصاردة والمضايقة، لكن ما يميزها هي اللهجة التصعيدية في مواجهة الإجراءات القمعية في حق عناصر الهوية الوطنية الجزائرية وعلى رأسها اللغة العربية كما سنعرض لاحقا.

3- سياسات الاحتلال الفرنسي تجاه اللغة العربية: التغييب الاقصاء التهميش: كانت اللغة العربية ّأحد الأهداف الرئيسية الفرنسية لمشروع سلخ الهوية العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري، وتقطيع أوصاله، وقطع صلاته الحضارية وامتداداته التاريخية، لقد جمعت هذه السياسات كل الممكنات الإجرائية التشريعية، السياسية، الإدارية، والتي يبدو أنها لم تكن كافية وكفيلة بحرب ضارية تجاه هذه اللغة، فاستعانت بالدراسات الاستشراقية والمستشرقين، لتأسيس منظومة معرفية

ومنهجية وظيفتها الأساسية إدارة الحرب على العربية بالعربية،الهدف كان فرملة التعلم باللغة العربية التي ستشكل حلقة ربط ثقافية وحضارية بين الأجيال وبين الجزائري وتاريخه وامتداده .

3-1-مظاهر الحرب على اللغة العربية: كان واضحا منذ بداية الاحتلال النية المبيّتة، لشن حرب واسعة النطاق هدفها تحقيق حلم فرنسا الكبرى، تكون الجزائر جزءا من جغرافيتها، لتحقيق الهدف كان عليها تبني خطة سلخ ممنهج لكل عناصر الهوية الجزائرية: الدين اللغة التاريخ، وقطع امتدادها الحضاري والثقافي،

أبرز السياسات التي تبنتها فرنسا في الجزائر هو فرض اللغة الفرنسية وتشجيع الدارجة العامية بديلا لغويا للغة العربية، التي رسم لها المحتل خطة طويلة الأمد ترمي إلى تهميشها وتغييبها من ساحة التعليم والتداول والمعارف، ولقد عبر عن ذلك المؤرخ الفرنسي أوغست برنارد (Auguste Joseph Bernard) عندما قال "إننا لم نحضر إلى الجزائر لإقرار الأمن، بل لنشر الحضارة واللغة والأفكار الفرنسية.. وليست الجزائر مستعمرة كالهند الصينية.. ولكنها جزء من فرنسا كما كانت أيام روما.. إننا نريد أن نجعل هناك جنسا يندمج فينا عن طريق اللغة والعادات.. وسيتم هذا بعد نشر لغة فيكتور هوغو (الطيب 2004م صفحة 52) ولتحقيق هذه الغايات اتبعت الإدارة الاحتلالية الكثير من الإجراءات منها:

أولا: سن المراسيم والقوانين

سنت السلطات الاستعمارية حزما قانونية متلاحقة منذ دخولها إلى الجزائر، وفق منهجية متدرجة ومتزامنة مع تطور الاحداث والوقائع ومستوى وعي الشعب الجزائري وتطور مطالبه بحقوقه المدنية

والاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية، فالهدف دوما هو التضييق وخنق كل المبادرات الرامية إلى استعادة هذه الحقوق، تحت طائلة العقاب والعنف الإداري، وهو ما أسس له فانون الاهالي1881م (Indigénat) والذي أحال الجزائريين أصحاب الأرض إلى كتلة بشرية من الدرجة الثانية محرومة من كل حقوقها، يرتكز الفانون على ثلاثة محاور أساسية خطيرة هي: -الاعتقال الإداري،- التغريم الجماعي الحجز، ومنه تأسست وتفرعت باقي الإجراءات التعسفية في حق عناصر الهوية الجزائرية خصوصا اللغة العربية، التي استهدفت أول الأول بتجفيف منابع تمويلها وهي الأوقاف، هو ما تضمنه القرار الصادر في 23 مارس 1843 بمصادرة الأوقاف الإسلامية في عموم الجزائر وإلحاقها بإدارة الأملاك الفرنسية "الدومين"، يعتبر أن مصاريف ومداخيل المؤسسات الدينية تضم إلى ميزانية الحكومة الفرنسية الذي يلغي القوانين الإسلامية، وهو الهدف الذي عززه فانون فارني 1873م (la Loi Warnier) المتعلق بالسيطرة على أراضي الجزائريين وخصوصا الأملاك الوقفية، التي كانت تشكل عصب الحياة للتعليم العربي، وكان له تأثير سلبي على المدارس والمراكز التعليمية، التي فقدت مداخيلها وتمويلها إثر مصادرة أوقافها، وبالتالي خنق التعليم العربي، وفي هذا الاتجاه يندرج مرسوم 05 ماي 1904م (République française) الذي أصدره الحاكم العام الفرنسي في الجزائر يمنع المعلم الجزائري من إنشاء مدرسة لتعليم العربية الفصحى، دون الحصول على ترخيص من سلطة القيادة العسكرية الفرنسية إلا بشروط وهي:

– ألا يقدم دروسا في مادة تاريخ الجزائر ومادة جغرافيا الجزائر والعالم العربي والإسلامي؛

– ألا ينتقي الآيات القرآنية المتعلقة بباب الجهاد وعدم شرحها؛

– الولاء للإدارة الفرنسية. ويبدو أن هذا الاجراء لم يكن كافيا للحد من انتشار التعليم العربي، في نظر الإقطاعيون الفرنسيون ومغتصبي الأراضي، فأصدروا **نداء** 21 مارس 1908م. ويطالبون فيه بإلغاء التعليم الابتدائي للجزائريين، بغرض توفير اليد العاملة الرخيصة واستغلالها لخدمة مزارع الكولون، وبغرض تشجيع المهاجرين الفرنسيين للبقاء في الجزائر.

أما (هنري مىشال/ Henri Michel) الكاتب العام لولاية الجزائر وقد وقع منشورين سنة 16 فيفري 1933م ضدّ نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتضمن تعليمات موجّهة إلى رجال الأمن والإدارة الفرنسية لمراقبة نشاط العلماء وتضييق الخناق عليهم، غلق المدارس العربية الحرة وتغريم واضطهاد أساتذتنا، وتعطيل الصحف العربية التي كانت تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

بلغ هذا المنحى التصاعدي للقوانين والمراسيم والأوامر ومختلف الإجراءات الهادف إلى تضييق الخناق ومنع تعليم العربية، ذروته بصدور فانون 8 مارس 1938م المشؤوم (Charlotte، NOV 2014م)، وهو مرسوم فرنسي أصدره رئيس الوزراء **شوطان** Chautemps Camille، فقد كان حربا صريحة عليها وعلى التعليم العربي الحر، وبروز ملامح نتائجه الأولية والتي قرأتها فرنسا على أنها تهديد مستقبلي لسياساتها، وبالرغم من شؤم هذا القانون، الا أنه يعبر عن إحساس عميق لدى المحتل، بعمق التحولات في العقلية

الجزائرية التي ترفض الاستسلام لمشروع الفرنسة، الذي يكون قد مر عليه قرن من الزمان . يتضمن مجموعة قرارات ضد التعليم الديني وتعليم اللغة العربية وتتلخص فيما يلي:

– إجبار الأهالي على تعلم اللغة الفرنسية؛

– جعل الفرنسية هي اللغة الرسمية وحدها في المدرسة والجامعة والإدارة؛

– تغيير أسماء الشوارع والمدن والمعالم واستبدالها بأسماء فرنسية؛

– حظر استعمال اللغة العربية الفصحى؛

– اعتبار العربية الفصحى لغة أجنبية؛

– تدريس تاريخ وجغرافيا فرنسا على أنهما جغرافيا وتاريخ الجزائ؛

– اعتبار العامية لغة حية.

وازدادت غطرسة الإدارة الاستعمارية إزاء اللّغة العربيّة مع بداية الحرب العالمية الثانية بإصدار قانون آخر سنة 1939م استهدف الصحف الأهلية، وتحديدا الناطقة باللغة العربية ذات النزعة الإسلامية والوطنية، التي اعتبرها اجنبية، فأخضعها للرقابة الادارية، التي اعطيت كافة الصلاحيات لتوقيف ومصادرة الصحف التي تشكل تهديدا للمصالح الفرنسية.

واستمر التضييق والحصار القانوني على التعليم العربي بصدور قانون 24 ديسمبر 1940م، الذي يلزم أي معلم مسلم يرغب في تولي إدارة مدرسة بالحصول على إذن من المحافظ أو الجنرال. وبالطبع فالحصول على الرخصة يستوجب الامتثال لشروط تعجيزية قاسية، لم

يكن من السهل تحقيقها. أما قرار 12 جويلية 1945م، قرار يفرض على كل معلم للعربية أن يكون متقنا للغة الفرنسية إذا أراد أن يحصل على وظيفة، وهذا شرط تعجيزي خبيث، تسبب في إقصاء أغلب المعلمين المعربين، إذ كانوا لا يتقنون الفرنسية إطلاقا، وكأن من نتائج هذا القرار كذلك إغلاق المدارس القرآنية.

ثانيا: تشجيع العامية واللهجات المحلية

نشير بداية إلى أن اهتمام السلطات الاستعمارية باللهجات المحلية والعامية كان قبل الاحتلال الفرنسي، من خلال انشاء معهد الدراسات الشرقية، والذي كأن يهدف إلى تعلم اللغات ذات الفائدة الاقتصادية والسياسية، أي تكوين دبلوماسيين وقناصلة ومترجمين متوجهين إلى الحاضر وليس إلى فقهاء في الماضي (Troupeau, 1997)، شجعت الإدارة الاستعمارية في الجزائر اللهجات العامة والمحلية كبدائل لمنافسة اللغة العربية، وكان الهدف هو احداث ازدواجية لغوية، تكون أرضية لإنشاء هوية لغوية ضعيفة غير قادرة على منافسة الفرنسية، بسبب ضعف بنيتها ومواردها وقاموسها، فتنحصر في الاستعمال التواصلي دون العلمي أو الرسمي، العامية بمختلف لهجاتها تأخذ طابعا رسميا وتعليميا، تكون بديلا عن العربية، التي تفقد بذلك دورها الاجتماعي وحضورها الثقافي. وهو ما يؤدي إلى ظاهرة الازدواج اللغوي التي تؤدي بدورها إلى ازدواج شعبي حسب مالك بن نبي، ولذا

يقول عبد الله شريط أن: الاستعمار الفرنسي خلق في مجتمعنا تمزقا في الثقافة والتفكير والأخلاق وفي الحياة الاجتماعية نفسها.

مبكرا أقرت سلطات الاحتلال في البرنامج الدراسي لسنة 1898م «بصفة رسمية تعليم اللغة العربية الدارجة في المدرسة الابتدائية الأهلية بمعدل ساعتين ونصف في الأسبوع وفي كل طور، ولم تكن اللغة العربية الفصحى تدرس وقتها إلا إذا قدم السكان الأهالي طلبا رسميا لذلك، ولم يخصص لها مرسوم سنة 1883م، ولا برنامج سنة 1890م ولا مرسوم 1892م أية مكانة محددة في المسار الدراسي».

وكالعادة فقد دخل الاستشراق على خط المواجهة اللغوية من خلال الاعمال والمؤتمرات والمنجزات الفكرية والعلمية، وتكوين نخب جزائرية تنسجم مع هذه الأهداف والغايات وتخدمها، وتبرز اعمال المستشرق الفرنسي (رينيه باسِّي/ René Basset) 1855م-1924م كشاهد على الجهد الحثيث في الحرب على اللغة العربية وبذل الجهد والوسع لتغييبها عن المشهد، حيث أنشأ مدرسة الآداب العليا سنة 1880م، وهي المدرسة التي سيلعب فيها كل من هوداس، وماسكري، ورينيه باصيه دورا هاما. وهي المعنية بتعبيرنا (مدرسة الجزائر) الاستشراقية التي كانت تقدم للإدارة الاستعمارية كل التسهيلات العلمية في مختلف المجالات (سعد الله، 1998م، صفحة 26). إلى جانب مدرسة قسنطينة وتلمسان.

وقد تولى بعض الفرنسين تدريس العربية الدارجة، والمشارقة المرافقين للحملة مثل جوني فرعون (وهو سوري-مصري) سنة 1932م، ثم واصله لويس برينييه Louis Brenneah منذ 1936، وقد شاركه في ذلك عدد آخر من المستشرقين الذين انتشروا في غرب البلاد وشرقها منهم ماشويل Machuil في وهران، وصدرت عن هؤلاء مجموعة من الكتب التعليمية بالعربية الدارجة والفرنسية، مثل كتاب المبتدئين في اللّغة العربيّة الدارجة لعمر دهينة المدرس في المدرسة الثانوية في البليدة صدر سنة 1947م وهي كتب تقرأ من اليسار إلى اليمين، كما صدرت عنهم قواميس في نفس الموضوع، ويقول باصي رنييه: «ظهرت منذ الاحتلال أكوام من المعاجم والقواميس وكتب المحادثة ومجموعات الرسائل بهدف تعليم العربية الدارجة (سعد الله، 1998، صفحة 20)، فالخطة تقضي بأن تملأ الدارجة الفراغ الناتج عن تغييب وتهميش اللّغة العربيّة الفصحى.

ثالثا: الحرب على الهوية الجزائرية من خلال اللغة العربية

أدرك الاستعمار جيدا من خلال ما أنتجته مخابر الدراسات الاستشراقية أن اللغة العربية رأس حربة في الحرب على الهوية الجزائرية، ولا يكفي فقط الحرب عليها بل يجب التوجه نحو تعلمها من أجل ممارسة الحرب بها عليها، فقد أشارت مختلف التقارير أن تعليم اللغة العربية للفرنسين يساعدهم على الاحتكاك بالجزائريين؛ حيث يقول المتصرف المدني (بريسون/ Brisson) في رسالة إلى

المفتش العام للتعليم سنة 1836م: « إن مهمة فرنسا في الجزائر تتوقف على دراسة اللغة العربية والتوسع فيها من أجل التعرف على الأهالي والاتصال بهم بل إن الاستعمار (الاستيطان واستغلال الأرض) نفسه يتوقف على معرفة اللغة العربية، ولا يكفي في ذلك الاعتماد على المترجمين» ويرى المؤرخ والرحالة الفرنسي (جان بوجولا /Jean Pogola) أن تعلم اللغة العربية شرط أساسي لتسريب الأفكار والعادات والثقافة الفرنسية إلى الأهالي، وطالب بحرية رجال الدين في تعلمها لكي يتصلوا بالأهالي ويبثوا الأفكار النصرانية عن طريقها (سعد الله ، 1998م، صفحة 17) كما برز أساتذة فرنسيون يدرسون اللغة العربية؛ فقد كان (شاربونو/ Charbonneau) يلقي في الجامع الأخضر بقسنطينة دروسه في اللغة العربية منذ عام 1847م، ولم يكن يقبل ضمن حلقته إلا المسلمين البالغين الذين يقرأون العربية ويكتبونها بعد، وكان هدفه تكوين بعض الموظفين الجزائريين، بعقلية مؤمنة بمشروع فرنسة الجزائر.

4-الدعاية الاستعمارية من خلال الصحف بالعربية: تُعدّ جريدة (المبشر Le Mobachir) (1847م-1926م). العنوان الصحفي الأبرز في سياق الحرب الدعائية التي شنتها الإدارة الاستعمارية على العقل والوجدان الجزائري بلسان عربي، فلم تكن المبشر مجرد جريدة إخبارية، بل كانت أداة دعاية متقنة. استخدمت لنشر الأفكار التي تخدم الاستعمار، مثل إظهار فرنسا بمظهر الدولة التي جلبت الحضارة والتقدم، والترويج لمشاريع الاستيطان الأوروبي على أنها مفيدة للبلاد عكس ذلك نشر رحلة الباشاغا سليمان بن صيام المليانى 1852م يصف مشاهداته في فرنسا من أثار وجوانب عظمة الدولة والثقافة

والحضارة الفرنسية، بينما تولت بعض الأقلام لاحقا الترويج لأهمية التعليم الحديث خصوصا في المدرسة الفرنكو-إسلامية، كان الهدف منها "تحقيق غايات استعمارية أولها أن يطلع الجزائريون المسلمون الذين كانوا لا يفهمون سوى العربية أنداك بواسطتها على القوانين والتعاليم الصادرة، وثانيها هو خذلان روح المقاومة الوطنية في النفوس والتشكيك في جدواها (محمد ناصر، 2007م، صفحة 31)، واضافة إلى المبشر فقد دعمت الإدارة الاستعمارية تشجيع بعض الجرائد المقربة منها والخادمة لأجندتها مثل جريدة كوكب افريقيا، وهكذا وظفت الإدارة الاستعمارية اللّغة العربيّة في الحرب الدعائية والرمزية ضد المجتمع الجزائري، ولهذه الأسباب دعمت صحفا أخرى مثل كوكب افريقية1907م، والنجاح 1919م التي كتبت بأقلام جزائرية وعقلية ونَفَسْ فرنسي.

5-مقاومة الصحف الأهلية العربية لمشاريع تغييب اللغة العربية

5-1-المقاومة باللغة العربية: ظهور الصحافة العربية: لم يكن إنشاء الصحف العربية الأهلية بالمشروع الهين والمتاح بفعل القبضة الحديدية القانونية والإدارية على حركة النشر بصفة عامة ووضعها تحت طائلة العقوبات، فالجزائري يعيش تحت طائلة قانون الأهالي، إضافة إلى باقي القوانين المتعلقة بالنشر والمطبوعات، وبالرغم من الغائها في فرنسا إلا أنها بقيت سارية المفعول في الجزائر، فهي في نظر المستعمر صحافة أجنبية غير معترف بها، بل كثيرا ما تتخذ الإدارة الاستعمارية إجراءات قمعية لا نص ولا سند قانوني لها، فجو الحريات كان خانقا ومغلقا في وجه أي محاولة لنشر الصحف الأهلية، لمعرفة الاستعمار بأهميتها وخطورتها في نشر الوعي والدفاع عن

عناصر الهوية الجزائرية، والمطالبة بالحقوق المدنية والتعليمية وغيرها، ولذا امعنت الإدارة في التوقيف والمنع والمصادرة لهذه الصحف، واعتبرت وللمفارقة أجنبية، وغالبا ما كان بعضها يمنع من الصدور وعوقب أصحابها بسبب سوء الترجمة لمقالاتها من العربية إلى الفرنسية، ومن ذلك تعطيل صحيفة الجزائر لمحمد سعيد الزاهري حيث ترجمت كلمة "النهضة" بالثورة، وترجمت عبارة " فرنسا الظافرة المنتصرة" بعبارة" فرنسا الظالمة الغاصبة"، ونفس الاجراء مع جريدة النور لابي اليقظان حيث ترجم العنوان "خطاب خطير لرجل خطير" ب"خطاب مخطر لرجل مشوش" ويضع الشيخ ابن باديس يده على السبب الحقيقي لتوقيف هذه الصحف قائلا: ولم نعجب من هذا كله لأن جريدتنا عربية فهي معرضة للترجمة وكلمة واحدة من المترجم عن قصد حسن أو سيء تنقل الكلام من باب إلى باب ولم تعجب من هذا لأن جريدتنا أهلية وسور الأهالي قصير (ابن باديس، 1925م).

وهكذا ــتأخرت الصحافة العربية الأهلية في الجزائر إلى غاية مطلع 1900م، حيث بدأت بالظهور صحف أهلية ناطقة باللغة العربية مثل، صحيفة "المنتخب" 1882م، الحق عنابة 1893م، "النصيح" 1899م التي تحولت للدفاع عن الاستعمار، "كوكب افريقيا1907"، لكن لسانها كان عربيا ووجدانها وعقلها متملق للاستعمار، يمكننا القول أن صحيفة الجزائر1908م لعمر راسم كانت أول صحيفة أهلية خالصة مدافعة عن الهوية العربية الإسلامية، ثم ذو الفقار 1913م، ثم تلتها الفاروق 1913م لعميد الصحافيين الجزائري عمر بن قدور الجزائري، جريدة النجاح 1919م لأحمد بن نعمان، ثم "الاقدام" للأمير خالد، ثم صحف ابن باديس، البلاغ الجزائري،،وهكذا توسعت

جبهة الصحف العربية الأهلية مع الثلاثينات، مثل :البصائر ذات الخصوصية المضمونية والجمهور وطبيعة القضايا.

ومن الناحية السيميولوجية فأن تسمية هذه الصحف في حد ذاته كان يحمل شحنات دلالية قوية، فتسمية صحيفة باسم "الجزائر" معناها هدم وعدم الاعتراف بالسردية الاستعمارية التي تعتبرها جزءا من أراضيها وتسمية الفاروق، نسبة لسيدنا عمر فهي تشير الى عمق الانتماء الديني والاعتزاز به، أما الاقدام فهي تشير إلى خوص معركة الحقوق المصادرة، اما حمزة بوكوشة فقد سمى جريدة المغرب العربي، وقبله استعمله الشيخ ابراهيم اطفيش، واستعملها الصحفيان الطيب بن عيسى (تونسي، جزائري الأصل)عمر بن قدور الجزائري في سياق الدعوة إلى الوحدة وقوة الروابط اللغوية والدينية التي تتفوق على الدخيل الفرنسي فالإجراءات القمعية والعنف البالغ وجميع وسائل الترهيب والترغيب، لم تمنع الاستمرار في الإحساس العميق بوجود وطن مصادر والدفاع عنه والرجوع عن فكرة الادماج والمساواة، عكسته جريدة فرحات عباس الوطن وهكذا بالنسبة لباقي الصحف التي لا يخلو اسمها من معاني عميقة لدى وقع وصدى وجداني ومعرفي لدى القارئ الجزائري.

ما يهمنا هو أن إنشاء صحف باللغة العربية والصمود وتحمل كل العواقب والعقوبات، والإصرار على استمراريتها وجعلها فوق أــولوية الخبز، كان يعد في نظر الاستعمار تقويضا خطيرا لكل الجهود الرامية إلى تغييب العربية الفصحى وازاحتها من المشهد اللغوي في الجزائر وإعادتها إعلاميا إلى ساحة النزال الهوياتي وتنوير الرأي العام بحقائق هذه المؤامرات والدسائس، فاختيار اللغة

العربية للنشر يعني وجود جمهور واسع من القراء نخبوي قابل للتشكل في صيغ نضالية من أجل الوطن مع الوقت، من طلبة المدارس الحرة والزوايا والمساجد والمضمون الذي تنشره يسهم في تشكي نخب تتعرف على كل القضايا السياسية والدينية والثقافية من خلال المضامين التي تنشرها، وهو ما يعد أرضية لتشكل قادة رأي عام جزائري قائدة للراي العام، ستتطور مطالبة لاحقا خصوصا ما تعلق بجوانب الحقوق وعناصر الهوية بل الاستفلال صراحة لاحقا.

كان كتاب الصحف العربية الأهلية ينشرون مواد أدبية وعلمية وتعليمية ومعرفية وسياسية محلية ودولية، في قوالب وأنواع متنوعة من مقالات رأي شعر ونثر وخطب وقصص ومسرح وتاريخ وجغرافيا وعلوم متعددة ...إلخ كلها منشورة باللغة العربية، موظفة أساليب اقناعية عقلية وعاطفية حماسية، في جل مقالاتها المتمحورة حول مسائل الهوية الوطنية، بهدف إلهاب الحماس القومي لدى قرائها ومن ثمة توعيتهم واستنهاض هممهم (ناصر، 1978م، صفحة 16) بل أن بعضها كتب نقدا لاذعا ومبطنا بلغة عربية قوية مثل جريدة الروح (عبدلي، 2025م) وهذا في حد ذاته اختراق عظيم لسياسة تغييب العربية والحرب عليها

يلخص الأستاذ عبد الملك مرتاض المشهد قائلا: «آثر الكتاب الجزائريون الصحف على الكتب أيضا لجنوحهم إلى توجبه الشعب الجزائري وهديه إلى الصراط السياسي السوي. فكأنت السياسة في الحقيقة مصدرا لكل شيء، فالكاتب حين كأن ينادي بترسيم اللغة العربية في الجزائر، أنما كأن يخوض في السياسة، وحين كان ىطالب بفصل الدين عن الدولة، أنما كان يسعى إلى غاية سياسية، وحين كأن

يفضح النوايا الاستعمارية في محاربة التعليم العربي ن والصحافة العربية، ورجل الإصلاح إنما كأن يلفى بنفسه في خضم السياسة الخالصة (مرتاض 1975م، صفحة 110).

5-2- **النضال الصحفي من أجل اللّغة العربيّة:** خصصت الصحف الأهلية، حيزا مهما لقضايا اللّغة العربيّة، فهي إما داعية السلطات إلى تخفيف الإجراءات ضدها، أو مبينة بالحجة والدليل أهليتها لتكون لغة علم وتعليم، أو داعية الشباب الجديد إلى الاعتزاز بها ،تطور خطاب هذه الصحف في مواجهة الإجراءات الاستعمارية ضد اللغة العربية هذا التطور املته طبيعة اللحظة التاريخية واشتراطاتها، فقد كانت الجهود الأولى فردية تقريبا، إذ كان للإجراءات القمعية (السجن التغريم المصادرة...) والتضييق الممنهج على نشر الصحف باللغة العربية، أثر كبير في مستوى ولغة الخطاب الصحفي النضالي المتعلق بعناصر الهوية الوطنية، لدى النخب الأهلية، ومن خلال التتبع الزمني للإجراءات نلحظ تطور الخطاب المناهض والمقاوم لها مع كل تشدد فيه، ويمكن أيضا ان نقول إن هذه الإجراءات هي ردة فعل استعمارية على نمو الوعي الوطني وتوسع المطالب النخبوية فتكون هذه الإجراءات بمثابة محاولة لكبح جماح هذا الوعي، ويمكننا تقسيم هذه المراحل على النحو الاتي:

أ-**المرحلة الأولى: ما قبل 1930م:** اتسمت المرحلة الأولى منه والتي تمتد إلى غاية 1930م بالمهادنة والمطالبة السلمية، وتذكير الإدارة الاستعمارية بحقوق الشعب في تعلم لغته في اطار المساواة مع الفرنسيين، وتذكير هذه الإدارة بالتمييز الحاصل بين سكان الجزائر والظلم الواقع على أهلها، كما كأنت تخوض نقاشا صحفيا، في شكل

رد مباشر على ثلاث قضايا مركزية: الإجراءات الاستعمارية في حق اللغة العربية خصوصا موضوع إحلال العامية محلها في التعليم، أثر التشريعات الفرنسية على التعليم العربي الحر، انتقاد العوائد اللغوية الجديدة للشباب الأهلي الذي يفضل الفرنسية على العربية في الحديث.

كانت جريدة الإقدام من الجرائد الأولى التي تحدثت صراحة عن وضع اللغة العربية والتعليم العربي، حيث نشرت خطبة الأمير خالد الذي دعا المسلمين لأنشاء مكاتب لتعليم اللغتين العربية والفرنسية، في حضور جان ميرانت مدير الشؤون الأهلية، وحضور الشيخ عبد الحليم بن سماية، مدرس العلوم العربية والدينية بالمدرسة الثعالبية حيث قال: وأَمسُ لغة يجب تعلمها لغة المعاشر حتى يتمكن الإنسان من أن يعامل ويخالط ويكاثر...ثم يبين محاسن اللغة العربية: لغة اتسعت لترجمة علوم أمم وحمل كلام شعرائها ما شئت من الحكم فلا يضيعها الا من لا يعرف مقدار كنوز العلوم (الامير خالد، شرف العلم والتعلم، 1920م صفحة 1)، وفي مقال العلم والتعلم، يتحدث الأمير خالد عن التمييز في التعليم، يوضح كيف : أنشأت الإدارة الاستعمارية مدارس ابتدائية وثانوية وعليا لنشر المعارف بالفرنساوية في القطر الجزائري ولكن لم تعط في بعضها للغة العربية الا حظا وجيزا ولا يوجد في الوطن سوى ثلاث مدارس لتعليم بالفرنساوية والعربية الفصحى التي وضعت لاستخراج أعضاء المحاكم الشرعية فقط (الامير خالد، العلم والتعلم، 1920م صفحة 1).

أما جريدة الشهاب لابن باديس، فقد نشر ت على صفحات الاعداد 43.44.45.46 الصادرة سنة 1926م، نقاشا مستفيضا في شكل سؤال وجواب، حول موضوعات: اقتراح الجمعية الجزائرية للتعليم

الثانوي أهلية وصلاحية تعليم اللغة العربية والمدنية والإسلامية، دفع دعاوى أن الفصحى من أصعب اللغات، دفع دعاوى تعليم العامية بديلا عن الفصحى، دفع دعاوى الخط الأنسب لكتابة العربية، كتابة صوتيات الأهالي العربية بالحروف اللاتينية مستوى، الرد على دعوى الحاجة تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية ومناسبة العامية أكثر منها، وكذلك تعليم العربية في التعليم الثانوي هل يكون بعربية فصحى ام دارجة أو بهما؟، كما كانت الجريدة توجه انتقادات للشباب الجديد حركة الفتيان أو الجزائريين لتفضيلهم بالحديث بالفرنسية دون العربية في مظهر من مظاهر التعفف عنها، بينما دعت جريدة البلاغ الجزائري الصادرة عن الطريقية العلوية بمستغانم، فقد نشرت مقالا تدعو فيه الى النهوض باللّغة العربيّة، محذرة من أنها لغة الأباء والاجداد صارت غريبة عندنا آل الامر أن صرنا عاجزين عن التلفظ بها عاجزين –عن التعبير بما في ضمائرنا بها، (البلاغ ، 1932م، صفحة 3) .

ت– المرحلة الثأنية:1930م إلى 1948م: توسع النشاط الصحفي الأهلي في هذه المرحلة توسعا كبير كما وكيفا، تماهيا مع التغيرات السياسية والإدارية في الجزائر: الأول توسع الحركة الوطنية وظهور الأحزاب والجمعيات الأهلية ذات المطالب الوطنية خصوصا ما تعلق بعناصر الهوية، ثانيا تداعيات الحرب العالمية الثانية، وما بعدها والتي شكلت منعطفا حاسما في تبني الأفكار الاستقلالية، السياسات القمعية الإضافية التي تبناها الاستعمار خصوصا ما تعلق بالعربية التي اعتبرها اجنبية بموجب قأنون08 مارس 1938، لقد كانت الصحف الأهلية لسانا معبرا عن هذه التغيرات، ورافضا لكل هذه الإجراءات،

وتحول خطابها من مجرد التذكير والرجاء السلمي والتنبيه إلى المطالبة والالحاح والإصرار على إعادة العربية إلى مكانتها الوظيفية الطبيعية ومجالها الاجتماعي الحيوي، ومعارضة ورفض كل هذه الإجراءات والإصرار على توسيع نشاط التعليم العربي الحر، كما لم تفوت هذه الصحف الفرصة لشن حملات على بعض الجزائريين الذين يفضلون الفرنسية على العربية .

لعبت جريدة البصائر التابعة لجمعية العلماء المسلمين دورا محوريا في هذه المواجهة من خلال مقالات الراي التي نشرتها عبر السلسلتين الأولى والثانية، إذ دقت ناقوس الخطر المحدق ليس بالعربية فقط بل بالدارجة، ففي مقال بعد (غربة اللّغة العربيّة)، أصبحنا نخشى على اللغة الدارجة (بن الهاشمي، 1936م، صفحة 1)، بفعل التوسع في تعليم الفرنسية وتعميم استعمالها في الإدارة والحياة اليومية، ثم نشرت عريضة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى جناب مدير الشؤون الأهلية العام مسيو ميو (البصائر، 1936م، صفحة 1)، وهي شكوى ضد التضييق على التعليم العربي، وكانت رجع صدى صحفي قوي لمخرجات المؤتمر الإسلامي 1936م، الذي طالب بحرية القول والكتابة والرأي والاجتماع والتنقل والتعليم العربي والمساجد ورفع الإجراءات الاستثنائية (الابراهيمي، المؤتمر الاسلامي لايبني الامة الا الامة 1936م، صفحة 1)،وبخصوص اللغة العربية فقد نص البيان صراحة على أن: تعتبر اللغة العربية رسمية مثل اللغة الفرنسية وتكتب بها مثل الفرنسية، في جميع المناشير الرسمية وتعامل صحافتها مثل الصحافة الفرنسية وتعطى الحرية في تعليمها في المدارس الحرة مثل اللغة الفرنسية (الابراهيمي 1936م، الصفحة 1). وطالبت بنسخ

جميع القوانين الصادرة ضد اللغة العربية تلك القوانين التي صيرت اللغة العربية في الجزائر بمنزلة وفي مرتبة اللغات الأجنبية، مع الحرية التامة في تعليمها ورفع سائر القيود والاغلال عن الصحافة العربية باعتبارها كزميلتها التي تصدر بالفرنساوية لا تتقيد إلا بقانون الصحافة العام (البصائر، 1936م، صفحة 3)

ولم تكتف الجريدة بنقل هذه المطالب بل خاضت نقاشا مستفيضا حول ما يلاقي التعليم العربي الحر (الجيجلي، 1947م، صفحة 8) ومسألة التدريس باللّغة العربيّة، في مختلف المراحل والاطوار التعليمية الابتدائي والثانوي والجامعي، وتبيان قدرتها على أن تكون لغة علوم عصرية، وما تلاقيه من العرقلة والإهانة في عقر دارها، وسن القوانين الجائرة لقمعها وارهابها. ولذا فهي بلا حظ في التعليم في المدارس الثانوية وتغييبها عن الدراسة والبرامج (باعزيز، 1947م، صفحة 2) كما دافعت عن التدريس بها في الجامعة في الجامعة الجزائرية، وبينت مكانتها بين اللغات وقدرتها على نقل العلوم (باعزيز ب.، 1947م صفحة 5)، لتخلص هذه المقالات إلى تقرير حقيقة واحدة وهي أن رسمية اللغة العربية بأيدينا (مرحوم ، 1947م، صفحة 8) .

كما دبجت مقالات أخرى للشيخ محمد البشير الابراهيمي لمواجهة دسائس الإدارة الاستعمارية الخبيثة التي تحاول خلق ضرة جديدة لها حيث اعتبر أن اللغة العربية في الجزائر حرة ليس لها ضرة (الابراهيمي 1948م، صفحة 1)، وهي مرافعة أدبية وتاريخية حول اللّغة العربيّة وعلاقتها بالأمازيغية وحسن الجوار بينهما والتعايش، ودحض محاولات التدجيل والوقيعة بينهما وخبث الاستعمار في ذلك،

محاولات المساس باللغة العربية عن طريق الظهير البربري وتشجيع القبائلية.

كان للبصائر رد فعل قوي تجاه قرار 08 مارس 1938م، الذي اعتبرته ضربة قوية للتعليم العربي وللأمة الجزائرية، وتقنين للحرب على الإسلام والعربية فقالت: أي نعم فانون 8 مارس ضربة قاتلة للدين الإسلامي، ومن لا يعرف الحقيقة، ومن لا يحس بأملها المضاض ولكن يسرنا أن يقولها نائب من أبرز نوابنا مثقف ثقافة فرنسية عالية. ليعلم رجال الحكومة أن ما ترفع به جمعية العلماء هو تعبير عن رأي الأمة بأسرها. "وقد أكدت أن الجزائر، اهتزت له أيما اهتزاز، وارتفعت أصوات الاحتجاج والاستنكار من جميع جهات القطر.

أما جريدة الإصلاح للطيب العقبي فقد تساءلت هل يمكن تحويل العرب عن عربيتهم؟ مبينة أن عوائق الاندماج بين الأمم من أسبابها اللغة ذلك السد الطبيعي المتين والحاجز التاريخي الفولاذي الذي لا تعمل فيه زغازع الدهر، ولا فؤوس المعدمين (ملاي، 1947م، صفحة 1). وفي مقال صدر بالعدد 52 من الجريدة، يوضح الطيب العقبي موقفه من قانون 27 نوفمبر 1944م المتعلق بالتعليم العربي الحر الذي يعد حقا مشروعا تسنده كل الدلائل التاريخية والواقعية وهو غير قابل للاسقاط أو التنازل.

ولم تتخلف جريدة الوطن لفرحات عباس، عن هذه المعركة، فتبنت عمودا ثابتا يتكرر في كل الاعداد "في عالم العروبة والإسلام، كما أثارت نقاشا مستفيضا في العدد 319 الصادر في 1948م وردا على

مقالة لصحفي من جريدة المستقبل الاستعمارية الصادرة في الولاية العامة، التي يدعو فيها إلى عدم استعمال اللّغة العربيّة خوفا من افسادها، حول أساليب حماية اللّغة العربيّة وحدود استعمالها في المجالس النيابية، ومسألة تهيئة اللّغة العربيّة لمقتضيات العصر، يستشهد صاحب المقال بشعر شاعر النيل حافظ إبراهيم دفاعا عن اللّغة العربيّة في وجه الدخيل. وفي مقالة أخرى تستنهض همم الشباب، منبهة لهم أن: أمال الأمة فيك أيها الشباب الجزائري: لغتنا مدوسة بالأقدام (فراز الورتلاني 1949م، صفحة 2)ـ كما دافعت الجريدة عن التعليم والمدارس الحرة في مقال اعتداء جديد على المدارس العربية: غلق المدارس الحرة ومنع انتشارها، غلق المدرسة القرآنية الوحيدة في سبدو الوهرانية من طرف الحاكم.

أما مجلة المنار لعبدالحميد بوزوز فقد كانت واضحة في خطابها بلا تورية أو تمويه، وتحدثت صراحة عن أساليب الاستعمار في حربه للعربية في العدد الثاني منها 1952م، مع توالي هجمات الاستعمار على اللّغة العربيّة والدين الإسلامي، محاولا طمس معالمهما ومحو اثارهما كي يتسنى له تحقيق الادماج الذي ينشده كل فرنسي وطئت قدماه ارض الجزائر ...إن القوانين الاستعمارية ناطقة باعتبار اللغة العربية لغة اجنبية، كما انتقدت في العددين 12و13 من نفس السنة قانون 8 مارس 1983م، والشروط التعجيزية والمجحفة للحصول

على الرخصة أو من تشهد له الشرطة بحسن الولاء للاستعمار، وهي تعكس إجراءات محاربة وملاحقة العربية في عقر دارها.

كما تناولت المفارقة والمفاضلة لدى فئات من الجزائريين في الاختيار اللغوي، بين الاختيار النفعي الوظيفي والاختيار المعياري القيمي النضالي، في مقال واجبنا نحو لغة الضاد، حيث ينبه إلى الاقبال العظيم على تعلم الفرنسية، نرى صدودا عجيبا عن العربية من طرف بعض الطبقات الموسرة، أما الطبقات الفقيرة فلها عذرها إن هي احجمت عن ارسال أبنائها إلى المدارس العربية الحرة، أما الطبقة المستنيرة فحظ العربية عندها قليل ورأينا ظاهرة الاعتزاز باللغة القومية التي هي من ابرز صفات الفرنسيين، الذين يساكنوننا ويفرضون سلطانهم علينا امست ليست ذات بال عند التعبير عن الرأي عما يجول في الصدور إن نشر اللغة العربية يرتكز على دعامتين الأولى الاكثار من المدارس الحرة والثانية تنشيط الصحافة العربية وحركة التأليف وتهذيب لغة المسرح وتعريب لغة التسامر في النوادي الأدبية والسياسية وتقوية روح الاعتزاز باللغة ثم تنظيم حملة دعائية واسعة النطاق لمكافحة الامية ويستلهم الأستاذ بوزوز الكثير من التجارب النضالية من المثال الباكستاني في حماية لغتها وهويتها.

ولم تكن صحف المتصوفة بعيدة عن معركة اللغة العربية، وإن كان بأسلوب أقل حدة، فإنها نشرت على صدر صفحات جرائدها الكثير من المقالات الجريئة، ناقشت صحيفة صوت المسجد التي أسسها الشخ

محمد العاصمي سنة 1948م: مشكلة التعليم المسجدي الحر ضعف التعليم وطريقة علاجه، فأرجعته إلى قلة العناية به من الأمة ...وصرف عقول العامة عن العربية وتعاليمها، بادعاء أن العربية لا تعطي خبزا كما يشاع على السنة الناس، وأن وجدنا مكتبا أو مدرسة عربية بين الف مدرسة اجنبيةـ فلا تجد فيها إلا أبناء فقراء الامة، أما أولئك الجبابر الأغنياء فحاشاهم أن يعلموا ابناءهم لغة لا تؤكل خبزا ولا تخرج دكتورا ولا محاميا يتقاضى الالاف ...بل العربية في نظر هؤلاء لا آداب فيها ولا ثقافة ولا تصلح أن تكون لمقامهم الدرهمي ...ومما يوهن العربية قلة احترام الأمة لرجالها وإهانة اساتذتها ومشايخها ومعلميها وكل من أنتسب إليها ...وأكبر عاصفة تعصف بما تبقى من سمة العربية والعروبة اختلافات الحزبية واغراض الشخصية المادية (بن احمد، 1947، صفحة 21).

-استنتاجات الدراسة

أولا: مارست الإدارة الاستعمارية ضغطا تشريعيا واداريا رهيبا على عناصر الهوية الجزائرية، وعلى رأسها اللّغة العربيّة، بهدف تحييدها وتغييبها عن التداول التواصلي، وتغييبها في التعليم لكل المستويات التعليمية، والتضييق على التعليم العربي الحر، إلى الحد الذي اعتبرتها هذه القوانين لغة اجنبية. والهدف من تغييب اللغة العربية هو احداث الفراغ اللغوي الذي يسهل عملية الفرنسة أي إحلال اللغة الفرنسية محلها.

ثانيا: حاربت الإدارة الاستعمارية اللغة العربية بأساليب مختلفة منها توظيف اللغة العربية في حد ذاتها، من خلال الدراسات الاستشراقية بهدف إيصال الدعاية الاستعمارية إلى الجزائريين، كما لعبت الصحف الاستعمارية وعلى رأسها المبشر والصحف الناطقة بالعربية المقربة من الإدارة، دورا مهما في الترويج لهذه الدعاية النفسية القوية.

ثالثا: جابهت النخب الجزائرية المختلفة هذه الإجراءات الهادفة إلى تغييب اللغة العربية، من خلال الإصرار على تعلمها وتعليمها والكتابة بها، وفي مسار مطلبي متدرج من الدعوة إلى المساواة بينها وبين الفرنسية، والسماح بتعلمها وتعليمها، ثم مجابهة القوانين والإجراءات الإدارية بالرفض، بأشكال تعبيرية مختلفة.

رابعا: أسهمت الصحافة الأهلية النضالية، في الدفاع عن اللغة العربية، وعكست مواقف النخب الجزائرية على اختلاف اتجاهاتها ومشاربها الأيديولوجية والفكرية، فكان ظهور الصحف الأهلية باللّغة العربيّة فتحا لغويا في حد ذاتها، وقاومت إرادة المنع والمصادرة والتضييق والعقوبات القاسية، ونشرت على صفحاتها مئات المقالات والتقارير ومقالات الراي، التي تدعو إلى الاعتزاز باللغة العربية، وتبين اهليتها للتدريس في كل المستويات التعليمية، وكفاءتها في نقل العلوم وتفضح سياسات الاستعمار الخبيثة تجاه العربية مثل محاولة استبدالها بالعامية او الوقيعة بينها وبين الامازيغية.

الخاتمة: مثل خطاب النائب السطايفي مسعود بوقادوم أمام مجلس النواب الفرنسي 20 اوت 1947م، لسان حال النخب الاهلية الجزائرية في التعبير عما في ضمير المجتمع الجزائري تجاه لغته وباقي عناصر هويته، فقال: إن اللّغة العربيّة هي اللغة الطبيعية لـــ 10 ملايين

جزائري. إنها لغة ثقافتهم وتاريخهم ودينهم. وقد خضعت المدارس الإسلامية التي تدرس هذه اللّغة لإجراءات صارمة. وبقدر ما كانت تقريرا للحقيقة التاريخية، فإنها أيضا كانت صرخة في وجه المشرع الفرنسي، حول الإجراءات القمعية الجائرة تجاه هذه اللغة.

لقد مارس الاحتلال كل الأساليب والخطط والحيل والخدع، لتغييب اللّغة العربيّة عن الاستعمال، بهدف احداث فراغ لغوي، يسمح بسهولة توغل اللغة الفرنسية في النسيج اللغوي الجزائري، لتصبح اللغة الأساسية والرئيسية، لغة التفكير والتدبير والعلم والتعلم، لغة تؤثث الفضاء العمومي بشمولية باذخة، تعبر عن الجزائر الفرنسية، الهدف النهائي للمشروع الثقافي الفرنسي في الجزائر.

اللغة رحم بين المتكلمين بها، تصدق هذه الحكمة كثيرا على اللّغة العربيّة التي لم يفرط فيها أبناؤها رغم سياسة الحديد والنار والاغراء فكان النضال من أجلها هو العنوان الذي قاد كثير من النخب إلى إبقاء جذوتها مشتعلة وشعلتها ناهضة رغم الرياح العاتية، على صفحات الجرائد والمجلات، ومن على المنابر السياسية والدينية، معلنة أنها أصيلة وليست غريبة عن موطنها وانما غربتها من غربة أهلها.

المصادر والمراجع

1- سعد الله،أبو القاسم، (2007م)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5 (1830م-1954م)، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر.

2-احدادن، زهير(2012م)، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

3- بن إبراهيم، الطيب، (2004م)، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر.

4- سيف الإسلام، الزبير، (1982م)، تاريخ الصحافة في الجزائر ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
5- ناصر، محمد، (2007م) الصحافة العربية في الجزائر من 1847م إلى 1954م، دار الغرب الإسلامي، الجزائر.
6- ناصر، محمد (1978)، المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها تطورها، وأعلامها من1903 إلى ،1931م،2الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر
7-مفدي، زكريا، 2003م)، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر جمع وتحقيق أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكريا.

الجرائد والمجلات:

8- عبدلي، احمد، (2025م) معالم التربية الروحية والوطنية في جريدة الروح، مجلة المعيار، المجلد 10 العدد03.
9- الأمير خالد، (1920م)، شرف العلم والتعلم، جريدة الاقدام السنة الأولى، العدد 8.
10- الأمير خالد، (1920م)، العلم والتعلم، جريدة الاقدام السنة الأولى، العدد 12.
11-جريدة الشهاب، (1926م) اقتراح الجمعية الجزائرية للتعليم الثانوي، بحث في تعليم اللغة العربية والمدنية والإسلامية، الاعداد 43.44.45.46، السنة الثانية
12-صحيفة البلاغ الجزائري،(1932م)، نهوضا إلى اللغة العربية بني وطني السنة الأولى، العدد 258،
13-أبو العباس، احمد بن الهاشمي،(1936م) بعد غربة اللغة العربية أصبحنا نخشى على اللغة الدارجة، البصائر السنة الأولى العدد8.
14- باعزيز، بن عمر،(1947م) اللّغة العربيّة بالمدارس الثانوية، البصائر السلسلة الثانية، العدد 10
15-باعزيز ،بن عمر، (1947م)، اللغة العربية والدين بالجامعة الجزائرية، البصائر السلسلة الثانية، العدد 4.
16-البصائر، (1936م)، عريضة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى جناب المدير الشؤون الأهلية العام مسيو ميو، السنة الأولى،العدد21ـ
17-البصائر، (1936م)، المؤتمر الإسلامي لا يبني الامة الا الامة ، حرية القول والكتابة والراي والاجتماع والتنقل والتعليم العربي والمساجد ورفع الإجراءات الاستثنائية. العدد 24.
18-البصائر، (1936م) مطالب الامة الجزائرية التي قررها المؤتمر وجاء بها الوفد إلى باريس لمطالبة الحكومة الفرنساوية لتنجيزها العدد 30.

19- مرتاض عبد الملك ،(1975م) أثر الصحافة العربية بالجزائر في النهضة الوطنية، مجلة الثقافة، العدد، 28 الجزائر أوت/سبتمبر.
20- مرحوم، علي ،(1948م)، رسمية اللغة العربية بأيدينا، البصائر السلسلة الثانية، العدد15.
21- عزة، عبد القادر،(1948م)، دفاع عن اللغة العربية، جريدة الوطن السنة الأولى، العدد9ــ31 .
22- الابراهيمي، محمد البشير، (1936م) المؤتمر الإسلامي لا يبني الامة الا الامة، البصائر، السنة الأولى،العدد23ــو24.
23- الابراهيمي، محمد البشير، (1948م)، اللغة العربية في الجزائر حرة ليس لها ضرة، البصائر السلسلة الثانية، العدد.41
24- الابراهيمي، محمد البشير، (1948م) مودة جديدة، البصائر السلسلة الثانية، العدد.42
25- الابراهيمي، محمد البشير، (1948م) اللّغة العربيّة في الجزائر حرة ليس لها ضرة، البصائر السلسلة الثانية، العدد41
26- الابراهيمي، محمد البشير، (1948م) مودة جديدة، البصائر السلسلة الثانية، العدد42
27- الابراهيمي، محمد البشير، (1948م)، اللّغة العربيّة في الجزائر حرة ليس لها ضرة، البصائر السلسلة الثانية، العدد41
28- الابراهيمي، محمد البشير، (1948م) مودة جديدة، البصائر السلسلة الثانية، العدد42
29- بن احمد، محمد السعيد، (1947م) ضعف التعليم وطريقة علاجه، صوت المسجد، السنة الأولى، العدد،27.
30- الورتلاني، محمد بن مالك فراز، (1949م) امال الامة فيك أيها الشباب الجزائري، جريدة الوطن السنة الأولى، العدد13.
31- الجيجلي، مصطفى، (1947م)، ماذا يلاقي التعليم العربي الحر، البصائر السلسلة الثانية، العدد12.
32- ملاي، الطيب العلوي،(1947م)، صوت العروبة والإسلام هل يمكن تحويل العرب عن عربيتهم، جريدة الإصلاح، العدد55
33- قاسم، مولود، (1953م) الجزائر لا تعرف العربية؟ مجلة المنار، السنة الثانية، العدد18.
34- العقبي، الطيب، (1947م)، التعليم العربي الحر وموقفنا من قانون 27 نوفمبر، جريدة الإصلاح، العدد52.

35–صحيفة الوطن، اعتداء جديد على المدارس العربية، السنة الأولى العدد15، 15جوان1949م.
36–مجلة المنار، (1925م) السنة الثانية، العدد2،11 افريل 1952م.

مراجع اجنبية

37-Charlotte Courreye,(2014). L'école musulmane algérienne de Ibn Bâdîs dans les années 1930, de l'alphabétisation de tous comme enjeu politique", *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée* [Online], 136 | Online since 24 July, URL : http://journals.openedition.org/remmm/8500 ;
DOI : https://doi.org/10.4000/remmm.8500
38-Gérard Troupeau, (1997). Deux cents ans d'enseignement de l'arabe à l'école des langues orientales », *Chroniques Yéménites* [En ligne], 4-5 |, URL : http://journals.openedition.org/cy/116 ; DOI : https://doi.org/10.4000/cy.116